

بقلم : جيم كيتسيس

شارع مهجور في الغرب القديم وعند طرفي البلدة يبرز رجلان من جانب الطريق ويقفان وجها لوجه ، وأيديهما متحفزة فوق مسدساتهما المثبتة في حزام حول وسطيهما ، ثم يتقدمان نحو بعضهما ويرمق كل واحد منهما الآخر في برود ، ثم يصيح شخص « إن هذا البعد يكفي » ثم يقفان ، ويسود المكان صمت تام ولا تجرى أية حركة . ثم يلتقطان مسدساتهما وتنطلق منها الرصاصات ويقع أحدهما صريعا على الأرض . ثم يظهر سكان البلدة ويروحون يحدقون في الجثة بشيء من البلاهة .

هل ثمة شيء أكثر ألفة في الأفلام من هذا المشهد الصغير؟ إن نوع الفيلم الغربي قديم قدم هوليوود وكقدم السينما نفسها . ومن أقدم الأفلام القصصية فيلم « سرقة القطار الكبرى » الذي أخرجه أدوين س . بورتر . ولقد أنتج هذا الفيلم في عام ١٩٠٣ وقصة اللصوصية لعب دور البطولة فيها « برونكو بيلي » أندرسون الذي قام بأدوار البطولة في حوالي ٤٠٠ فيلم من أفلام الغرب ذات البكرة الواحدة التي كانت تصدر أسبوعياً . وكان « برونكو بيلي » يشبه طرازه سكان المدينة ، ولكنه أجاد كأول نجم في هوليوود لأفلام الغرب - وذلك حينما تعلم ركوب الخيل . .

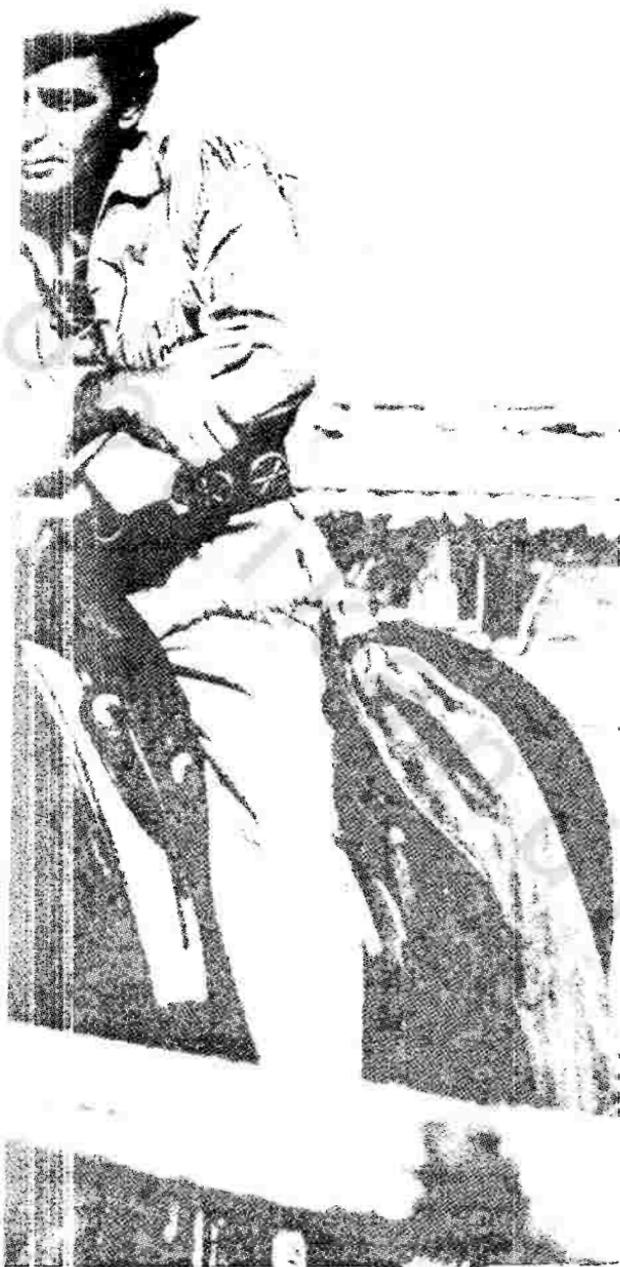
وكان فيلم « سرقة القطار الكبرى » بمثابة إعلان عن فترة بعينها وقد « جرت العمثلية على أساس تقليد تام لعمليات الانقضااض التي كانت تقوم بها عصابات خارجة على القانون في أقصى الغرب » على أن بعض العلماء لا يوافقون على ذلك ويقولون إن الفيلم أنتج في إطار « تقليد تام » لفيلم « سرقة عربة البريد » الذي أنتجه في نفس السنة بريطانيان رائدان من رواد السينما . وعلى أى الحالين فسواء كان الفن تقليدا للحياة أم لا ، فإن عددا لا يعد ولا يحصى من أفلام الغرب قد أنتج وعرض في جميع أنحاء العالم .

ما هو سر شعبية أفلام الغرب ؟ إن علماء النفس والاجتماع لم يكفوا عن التكهن . ولقد قيل لنا إن السبب هو أن العالم المعاصر يزداد تعقيدا وتحضرا ومن ثم فإن فيلم الغرب يتيح للمشاهد هروبا إلى نوع من حياة أكثر حرية حيث يكون فيه « الرجال رجالا » أولأن أفلام الغرب عنيفة ، ومن ثم فإنها تشبع حاجة مكبوتة في أنفسنا جميعا ، وهكذا . إن التكهن من هذا النوع وإن كان ممتعا وقيما في طريقته ، يخفى حقيقة أساسية وهي أنه في إطار الغرب قد تم إنتاج عدد كبير من الأفلام الممتعة على مر السنين . أما وأن جماهير النظارة قد وجدت في هذا الشكل من الأفلام مصدرا قويا للابتهاج الجمالى قد لا يمثل الجواب كله عن الأسئلة التي تدور حول شعبية أفلام الغرب ، وهذا أمر لا شك فيه . ومع ذلك فإن هذا التعليل مهم هنا ، لأنه أساسى لأى فهم نقدى لهذا النوع من الأفلام .

* * *

ومما يبعث على الدهشة إن اهتماما يتسم بالنقد لم يوجه إلى نوع الأفلام التي تنتج في هوليوود إلا أخيرا . . وكانت هذه الأفلام في أمريكا نفسها ينظر إليها على أنها منتجات آلة تكرر نفسها . ومن المستحيل في إطار أفلام الغرب وأفلام رجال العصابات أو الأفلام الحربية أو الموسيقية دراسة الأفكار في عمق وتطوير الممثلين بواقعية

سيكولوجية ، وحتى لو كانت كل هذه الأمور حقيقة ، (وهى ليست كذلك) فإنه يحق لنا أن نسأل : « ماذا بعد ذلك ؟ » هل هذه المعايير تنطبق على جميع أشكال الفن السينمائي ؟ إن هذه البيوريتانية الانتقادية التى نجح وراءها الرغبة الحزينة إن أمريكا بالنسبة للمسائل الفنية ، يمكن أن تكون كأوروبا ، وتستبعد العلاقة الطويلة بين جماهير النظارة مع هوليوود . إن أفلام الغرب فى إطار هذا المنظور تعتبر شكلا نافها محدودا الذى لا ينتج عملا جدياً إلا قليلا مثل فيلم « الظهيرة الشديدة الحرارة » و « شان » . لقد بدأ النقاد فى كل من فرنسا وبريطانيا فى غضون العقدى المنصرمين ، وفى مقدمتهم أندريه بازان ، عملية إعادة تقييم واسعة النطاق لأفلام هوليوود مؤكدين على وجه الخصوص حيوية وقوة الأفلام الأمريكية . وكما هو الحال بالنسبة للأدب الأمريكى وموسيقى الجاز ، كان لابد أن يتم اكتشاف فيلم هوليوود بواسطة أوربا قبل أن يكون هذا الفيلم محترما فى وطنه . إن هذا العمى بالنسبة لأفلام الغرب قد يكون مفهوما أحيانا فالأمريكيون ينشئون مع هذه الخرافة الشائعة فى الكتب الهزلية والتلفزيون والإعلانات التجارية وفى السينما . ولعل من المقطوع به أن يصل الأمريكيون إلى نقطة يقفون عندها ويسألون أنفسهم : « إننى أصبحت شاباً جداً الآن ، وعليه فلا بد لى أن أترك الأشياء الصبانية » . وإذا ما استطاع الأمريكيون أن يكبحوا جماح المتعة الحقيقية التى مازالوا يشعرون بها من مشاهدة أفلام مثل أفلام الغرب ، فإنهم يسمون إلى مستوى الفن الرافى لبرجان وفيليبى وأنتونىوى ثم يشعرون بعد بضع سنين أن جميع الأفلام التى شربوا معها وتمتعوا بها هى فى الواقع شكل من أشكال الفن السينمائي أيضا . وليس ثمة شك فى أن ثمة شيئا لشعور الأمريكيين بالعداء حيال الفيلم الغربى وهو أنهم قد يشعرون أن هذا الفيلم يشوه الواقع التاريخى والاجتماعى الذى تعرضه . إن استئصال شأفة الهنود الحمر و حرب الإبادة التى يشنها المستعمرون على أهل البلاد الذين بلغوا شأوا كبيرا من الحضارة يصبح كفاحا ملحمياً أو بطولياً للشعب المختار ضد



١ لال لاد فى دور شان

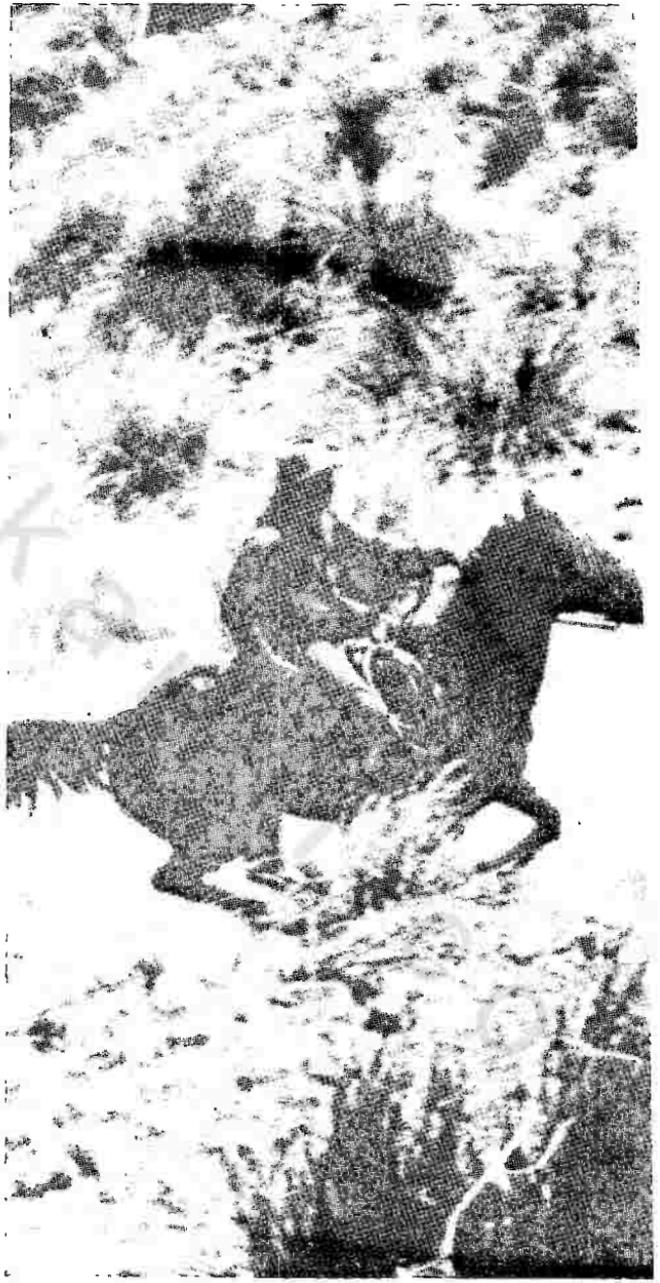
بودغ الصى الذى قام بدوره براندون ديوالد فى فيلم «شان»



المصدر : متحف الفن الحديث .



٢ - تصوير رجل يركب حصاناً وهو يجرى بأقصى سرعة .



المصدر : وكالة أنباء يونانديبرس

المتوحشين . ويصبح أشرار الغرب الغلاظ والقساة أبطالاً أسطوريين . وإذا نظر إلى فيلم الغرب من الناحية السياسية فإنه يبدو فيلماً قمعياً عنصرياً . ومع ذلك فإن وصف هذا الأفلام على هذا النحو لا يشرح قوة الاستجابة لها من جانب الفنانين السينمائيين أو جماهير النظارة .

* * *

وعلينا إذا أردنا أن نفهم أفلام الغرب ألاّ يغرب عن بالنا أن كلمات مثل « نوع » هي كلمات تجريبية لأن أنواع الأفلام ليست أنواعاً أدبية على الإطلاق ، وبمعنى آخر . أن التراجيديا أو الكوميديا في الأدب تدل على كيان فني محدد جداً ، لأننا في هذه الحالة نعرف ما نتحدث عنه . ولكن فيلماً بعينه من أفلام الغرب لا يحكى لنا الكثير . قد يكون فيلماً بمثابة ملحمة عن مد خط للسكة الحديد وقد تكون قصة مأساوية عن عبور الحدود وقد يكون كوميدياً . أو فيلم حركة أو تمثيلية أخلاقية أو قصة انتقام . إلخ . إن النقاد والصحفيين يشيرون دائماً إلى الفيلم الغربي الكلاسيكي ، ولكنني أشك فيما إذا كان هناك وجود لمثل ذلك . ولا شك في أن أصول هذا النوع متنوعة جداً بحيث لا يمكن أن يكون هناك وجود لحاجة اسمها الفيلم الغربي الكلاسيكي وعلينا أن نسمع بذلك ، وهذا واحد من أسباب ثراء هذا النوع .

إن التقليد الأساسي الذي ينبثق منه الفيلم الغربي هو بدون أي شك الرومانسية . وبخاصة ما تضمنته قصة القرن التاسع عشر . وبالتالي ، فإن هذا الانسحاق وراء جيمس فينيمور كوبر وقصصه المشهورة التي تكون صبغتها الأساسية بطلاً ينقذ عادة من الشر من بين أيدي الهنود ثم يتخلى عنها لمنافس له من الطبقة العليا . وكانت أفلام الغرب الأولى تتسابق وراء ميلودراما المسرح . ويبدو أن نتيجة هذا الخليط هو أن هذا النوع كان مفتوحاً (وما زال كذلك) لحركة في عدد من الاتجاهات وهذا مرهون بالشئ ، الذي يشد انتباه النظارة . وثمة ظاهرة من ظواهر هوليوود وهي ظهور النجم السينمائي .

وكان هذا في غاية الأهمية بالنسبة لأفلام الغرب - فقد انتقلت بطولات « برونكوبيلي » سريعاً إلى وليم س . هارت وتوم ميكس وباك جونز وغيرهم . إن هذا التقليد واللباس والأمكنة الغريبة ذات أهمية للبناء وإلا فإن النوع يتأرجح بين الكوميديا والجدية وبين الرومانسية والواقعية وبين مطالب الدراما وأحداث التاريخ . وحينما يبدو أن الجماهير تحب فيلمًا بعينه . فإن هذا التكوين الفيلمي يمكن تكراره مع بعض التغيير ، ومن هنا تبدأ دائرة فيلمية تأخذ طريق سيرها حتى تفتتح شهية الجماهير إلى شيء جديد .

وحينما يقل الاهتمام بأفلام الغرب ، كما كان يحدث من وقت لآخر ، كان النقاد يتنبئون بأن هذا النوع قد استهلك ، ومازلنا نسمع ذلك حتى يومنا هذا ، مع ازدياد التجاعيد في وجوه أبطال هذا النوع من الأفلام الذين مازالوا على قيد الحياة ومخرجيها المخضرمين أمثال (جون فورد وراؤول وولش) الذين اضطروا إلى الاعتزال . ومع ذلك فإنه لما استحق الذكر أن أول نبوءة عن موت هذا النوع من الأفلام أذيعت في عام ١٩١٥ . ولكن أي إنسان وثيق الصلة بهذا النوع يعرف أن هذه الأفلام استمرت في قوتها وشعبيتها بثلاثة مجالات جيدة التحديد التي كان يبحثها مؤلفو النصوص والمخرجون . ومن هذه فيلم الغرب الكوميدي ، وهذا مجال سيطر عليه بيرت كنيدي مخرج هوليوود الذي أخرج فيلم « يد الشريف المحلى » و « يد المقاتل المحلى » ثم جاء موضوع « نهاية الغرب » ، وهى فكرة كان رائدها سام بكتيايه (مخرج فيلم اركب البلاد العالية وفيلم حفنة أشرار) . وقد أدت هذه الفكرة إلى ظهور عدد من الأفلام عن تلك النقطة في الوقت الذى حلت السيارات فيه محل الخيول واختفت عمليات القتال بالمسدسات وحلت الحروب محلها . وأخيراً هناك الواقعية المتزايدة والعنف في هذا النوع ، وهذا واضح من استجابة هوليوود لمزاج المجتمع . إن الصحفيين يتحدثون الآن عن احتمال تجرد هذا النوع من الأفلام من قوته الرومانسية أمام الأفلام الجديدة

المتعة ، ولكن الحقيقة هي أن هذا النوع يحتمل أن يبقى معنا ما دامت هناك سينا قصصية .

وثمة سبب لخوف النقاد في فترة من الفترات من استهلاك هذا النوع وهو التكرار المستمر له واستغلال وسائل الإعلام لذلك . على أننا بدأنا نرى أن لانتشار هذه التجربة وذيوها قوة كبيرة ، فالألفة التي أصبحت بيننا وبين الممثلين والموضوعات والتمثيل ومكان الفيلم الغربي تعني أن الشكل قائم كنوع من اللغة المشتركة أو كقانون للسينا . إن صورة الرجلين اللذين يقفان مواجهين لبعضهما في الشارع ، وهي الصورة التي بدأت بها هذا الحديث تعتبر مثلاً طيباً . وقد تسأل : « أليست الألفة تولد الاحتكار ؟ » « أليست المواجهة الفاصلة لم تعد شيئاً سوى كليشيه ؟ » ، حسناً إن كلمة « المواجهة الفاصلة » هي كليشيه حرفي ، ولكن هذا لا يعطينا فكرة شاملة عن وضع الفيلم الذي نتحدث عنه . إن الإمكانيات المرئية لتصوير معركة بالمسدسات في الواقع غير محدودة ، كما يعرف أي شخص شاهد أفلاماً كثيرة « من أفلام الغرب » . وإذا كنا على مستوى الأسلوب الفيلمي ، فإننا ندرك أن الجوهر أو المعنى الحقيقي لذلك المشهد هو كيف يجري تصويره . إن المخرج يمكن ان يجعل من ذلك المشهد ، وهذا أمر يعتمد على اهتماماته ووجهة نظره ، يتخذ شكل مصارعة للثيران (كما كان يفعل سيرجيو ليون) المخرج الإيطالي أو شكل رقصة باليه دامية (وأي إنسان شاهد فيلم حفنة أشرار يعرف ما أعني) . والمهم هو أن مخرج الفيلم يستطيع أن يصوغ شكل النوع بطريقة يجعل الفيلم يحكى قصة . إن ما نكملة في أيدينا الآن هو شيء من المادة التقليدية - مثل الإنجيل أو شكسبير الذي يقدم فوراً ثروة من المعاني للنظارة .

* * *

إذا كان لنا أن نفهم فيلم الغرب كلغة فنية ، فإننا يجب أن نعني بما نراه فعلاً في أفلام الغرب وهي تلك الأنماط المتكررة من الصور التي استمرت في ذلك النوع

عشرات السنين . ونعمد عند مستوى معين إلى الحديث هنا عن الممثل والدور الذى يقوم به والشخصيات تتكرر فى أنواع الأفلام ، ويقدم فيلم الغرب الدليل على ذلك بمقاتليه من حملة المسدسات وسكان المدن والفرسان والهنود الحمر والعمد الضعفاء والرحل والكشافة الهنود الشداد وسيدات الشرق الوديعات ورجال الأعمال الفاسدين والسكارى المهزليين ، ولكى تعطى جميع هذه الأدوار - الكبيرة والصغيرة - فإن لهوليوود سلسلة من الممثلين الأخصائيين الذين تسند إليهم . والواضح أن ممثلين وممثلات يصبحون معينين مرتبطين بأنواع محددة من التجارب عند الجماهير - مثل شارلتون هستون الذى يعتبر جوهر الملاحم وكارى جرانت الذى يعتبر كوميدياً خفيفاً . إننا حينما نشير إلى أفلام الغرب سرعان ما نفكر فى جون واين وروبرت ميتشوم وهنرى فوندا وجيمس ستوروات وجويل ماكريا ورائدولف سكوت . وإلى وقت غير بعيد فإننا نذكر أيضاً كليننت إيستود . إن هؤلاء الرجال يعتبرون « أيقونات » هامة للسينما وأصبحت وجوههم مثل علامات تميز معانى هذا النوع من الأفلام . لقد كان من المبالاة منذ وقت غير بعيد ازدياد نجوم السينما ، ولكن من الواضح الآن أن النجوم يمثلون أنماطاً ، لقد كان الممثلون منذ سنوات ينعون حظهم لوضعهم المنبوذ دون أن يدركوا تمام الإدراك قدرتهم على تمثيل دور شخصية من الشخصيات بفضل مظهرهم وشخصيتهم هو فى الواقع جوهر التمثيل على الشاشة . وفى مجال السينما يتم تكوين شخصية الممثل بواسطة أدواره السابقة مع وجود الممثل المادى (تذكر مشية جون واين المميزة ؟) التعبير المرئى المباشر . أن نخرج الفيلم ، بواسطة توزيع الأدوار بحكمة ، الثانوية منها والرئيسية ، يستطيع أن يثير جواً هائلاً من المعانى .

إن ما أعنيه هو أن فيلم الغرب يمكن مقارنته مقارنة نافعة مع الأفلام التاريخية العظيمة مثل - الصلب والمادونا والطفل - التى تتيح لكل جيل من الفنانين عالمًا محددًا من الخيال ورنينًا رمزيًا ينبغي استكناه حقيقته ودراسته وإعادة تفسيره . على أن

الممثلين السينمائيين وأدوار أفلام الغرب ليسوا سوى طبقة واحدة من المعاني هنا . وعلى المستوى الآخر ، هناك المميزات التقليدية لهذا النوع من الأفلام وهي اللباس التقليدي وأسلحته وحيوله وعربات النقل والبريد وقطارات السكة الحديد . ولعل ذكرياتنا الأولى عن هذا النوع مازالت تذكر البطل الحليق الذقن المرتدى الملابس البيضاء ويواجه خصماً شريراً أسمر اللون ذا شنبٍ . إن هذه بالطبع هي تقاليد الميلودراما ، ولكنها تعتبر أيضاً دليلاً بسيطاً على كيفية تحول المكياج والملابس إلى مصدر للمعنى المرئي .

وثمة مستوى أخير للتقليد المرئي يتعلق بالمواقع والأماكن التي يتم فيها تصوير هذا النوع من الأفلام . وإذا كان بعض النقاد ينظرون إلى الفيلم الغربي على أنه الشكل المثالي للسينما ، فإن ذلك مرده بدون أى ظل من الشك إلى مناظره الطبيعية وخلفياته حيث يجري تمثيل الدراما فيها . إن عددًا لا يعد ولا يحصى من أفلام الغرب تبدأ بمشهد شخص وحيد راكب حصاناً يمر عبر الصحارى أو البرارى أو فوق تلال وجبال . ويذهب بعض الثقات إلى حد القول بأننا هنا نمسك بجوهر النوع . وهو رجل وحيد مع مصيره ومع ذلك فإن هناك مشاهد متكررة في هذا النوع . وعليه فإنه غنى بالقوة الرمزية : قوات المشاة وهي تبدو في الأفق وبناء كنيسة وصلاة جنازية بسيطة في مقبرة موحشة ولعبة البوكر وهجوم الهنود ورحلة العربات المغطاة ، وعلينا بالطبع ألا ننسى صديقنا القديم وهو المقاتل بالسدس . ولقد استمرت هذه المشاهد على مر السنين متميزة بمعنى شعائري لأفلام هذا النوع بحيث أصبح المخرج لا يرى فيها أية قيمة . وعلى المخرج عند إخراج قصة معاصرة ، أو فيلم شخصي ، أن يبدأ من الصفر . أى أن يتولى بناء الشخصية والموقف والموضوع .. وخلاصة القول أن يخلق عالماً جديداً . إن أنواع الأفلام مثل أفلام الغرب ورجال العصابات والأفلام الموسيقية أو الحربية (التي لا يبدو أن طرازها قد ذهب زمانه في الوقت الحاضر) - فهذه تعطى للمخرج بداية قوية

لمشاهديه . وطالما أنه أصبح يوفر نوع التجربة العاطفية - الصراع والحركة والمشهد والعنف - فإنه يكون حرّاً في صياغة الشكل وإخضاعه حسب احتياجاته .

* * *

وليس ثمة شك في أن فيلم الغرب لا يتفق وذوق كل إنسان . أيمكن أن نتصور بيلي ويلدر ، وهو مهاجر أسترالى إلى أمريكا ومخرج كثير من الأفلام الكوميديّة المتقدمة مثل فيلم « الشقة » وفيلم « البعض يفضلونها ساخنة » أن يتوجه إلى فلاجستاف بولاية أريزونا للقيام بإخراج مشهد في موقع هناك ؟ أو الفريد هيتشكوك ؟ إذا كان ثمة مخرج مهتم أساساً باستكشاف حالات الشعور السيكولوجية ، فإن أفلام الغرب لن تكون الشكل المناسب له . وهذا النوع من الأفلام بدوره لا يعالج المشاكل الاجتماعية مثل التفرقة العنصرية . فهنا يوجد شكل يتعلق بالمدن مثل أفلام رجال العصابات التي تمضى كثيراً في معالجة مشاكل الماضى القريب . إننى أجرى بعض المقارنات هنا ، فهذان النوعان من الأفلام - أى أفلام الغرب وأفلام رجال العصابات يعتبران من أعظم اختراعات هوليوود - وهما يشبهان بعضهما البعض أكثر مما يختلفان ، وليس عرضاً مثلاً أن هذين الشكلين الأمريكين الخالصين يكشفان عن اهتمام بالفرد والعنف والقانون والنظام . إن هذه المشاكل التي لا بد أن تواجهها كل ثقافة من الثقافات ، تعتبر مشاكل ملحّة جدّاً في بلد ضخم ذى تاريخ وتقاليد قصيرة . وليس ثمة شك في أن هذين النوعين ينطويان على سؤال وهو : هل يمكن جعل الأمريكين اجتماعيين . وهل يمكن أن يصبحوا أعضاء مجتمع مع الاحتفاظ بالهوية الفردية ؟

إن هذين السؤالين في حالة أفلام الغرب يبرزان ثروة المادة التاريخية التي تحكى قصة النوع . فالتحرك الفعلى نحو الغرب من جانب المستوطنين استمر أكثر من قرن من الزمان ، ولكن هوليوود لا تعترف بتلك الحقيقة . إن الغالبية العظمى من أفلام الغرب قد أعدت في فترة صاحبة بين عامى ١٨٦٥ و ١٨٩٠ ، أى قبيل إغلاق الحدود

الأمريكية وهذه اللحظة القصيرة في تاريخ الولايات المتحدة هي التي تقدم هذا الشكل بجميع موضوعاته التقليدية : أى الأيام الأخيرة للحرب الأهلية وازدهار عمل المناجم ومد خطوط السكة الحديدية الفرسان والحروب الهندية وطرده المواشى ومجىء المزارع والراعى وأعمال رجال الغرب الأشرار .

* * *

إن ماضى هوليوود يقدم دليلاً كبيراً على الطريقة التي استسلم بها المخرجون إلى هذه المادة والبحث عن الموضوعات وتشكيلها والعمل الدرامى الذى يشغلهم .
إن اسماً واحداً بالطبع - وهو جون فورد - يسيطر على هذا النوع . ويعتبر فورد أعظم مخرج فى أمريكا ، ومن الشخصيات المحترمة فى عالم السينما . بدأ عمله السينمائى فى عام ١٩١٤ وامتدت حياته العملية فى هذا الحقل نصف قرن من الزمان ويغطى الـ الواقع تاريخ الفيلم نفسه فى عصر السينما الصامتة وعصر السينما الناطقة وادخال اللون والشاشة الواسعة . ولقد مر فورد فى خلال هذه التطورات بخطوات واسعة ترك خلالها بصمته بأسلوبه التصويرى على حوالى ١٣٠ فيلماً ، ومن بينها أفلام رائعة حصص بواسطة على أعلى جوائز التكريم من هوليوود منها أفلام « المخبر » و « كرمات الغضب » وفيلم « مارى أوف أسكتلنده » وفيلم « الوادى الأخضر » وفيلم « الرحلة الطويلة إلى الوطن » وفيلم « سفر لينكولن الشاب » وفيلم « طريق التبغ » ، ومع ذلك ، فإنه وإن كان فورد قد أخرج كل أنواع الأفلام ، فإننا دائماً نربط اسمه بأفلام الغرب ، وجدير بالذكر أن نصف الأفلام التي أخرجها كانت عن الغرب ، ومن روائع أفلامه هذه « الحصان الحديدى » و « مركبة السفر » و « عزيزتى كليمنتين » و « قلعة الأباش » و « ذات الشريط الأصفر » و « ريجراند » و « الباحثون » و « الرجل الذى قتل لىبرى فى فيلانس » و « خريف شابان ، وقد وجد فورد فى هذه الأفلام الإطار المثالى للتعبير عن رؤيته الشعرية لأمريكا .. الأمة الجديدة التي ظهرت من أرض متوحشة وبشمن باهظ .



يعتبر فيلم « مركبة السفر » من إخراج جون فورد « علامة بارزة في إنتاج أفلام هوليوود . وقد أتيح هذا الفيلم في عام ١٩٣٩ ، ورفع أفلام الغرب إلى مستوى فني أعلى وأصاب نجاحاً واسع النطاق . وفي هذا الفيلم حقق جون واين الشاب الذي يرى هنا في مشهد مع كلير تريפור ، نجاحه الكبير في دور رينجو ، الخارج على القانون الذي أسىء فهمه .

إن مساهمة فورد في إطار هذا النوع رائعة ، على أن كثيراً من المخرجين الآخرين وجدوا هذا الشكل ذا قيمة لأعمالهم . ففي أفلام جذابة للغاية مثل « النهر الأحمر » و « ريو برافو » مثلاً استكشف هوارد هوكس ، المخرج المخضرم . عالمه الذى قوامه صداقة الذكور والنزعة التخصصية والمهنية . أما بود بويتشر من ناحية أخرى فقد استخدم هذا النوع من الأفلام للتعبير عن افتتانه بفكر الإنسان في مواجهة الموت « وهو موضع مناسب لمصارع ثيران سابق ، ومن بين أفلام بويتشر « سبعة رجال من الآن » و « الطويل » و « الراكب الوحيد » وثمة ثلاثة من أفلام رائعة أخرجها أنتوني مان «هى « وبنشستر ٧٣ » و « رجل الغرب » و « رجل من لارامى » وهذا المخرج يركز اهتمامه على موضوع غريب مؤثر هو موضوع قتل الأخ لأخيه أو أخته .

إن قائمة أسماء المخرجين الذين عملوا في حقل هذا النوع من الأفلام لا تنتهى وسنهم راؤول والش وروبرت الدريتش ، وآرثر بن ، وسام بكنباه - وقد وجد هؤلاء المخرجون وكثيرون غيرهم من المخرجين في الغرب أرضاً خصبة لأفكارهم وتصوراتهم . أما نحن ، معشر المشاهدين فإنه لا يسعنا إلا أن نأمل في أن يستمر هؤلاء الرجال ، ومن يأتون بعدهم ، في السير على هذا النحو حتى يبقى هذا التقليد الفنى الرائع الذى بدأ منذ وقت طويل بظهور فيلم « سرقة القطار الكبرى » مصدراً يعول عليه للأنشطة الترويجية وإثرائها .